شـرق وغـرب(*)

أيـقظِ الشـرقَ وهـزَّ الـعَـرَبَـا ... فبـريقُ المجـدِ في الشـرقِ خَبـا
علَّ مَنْ عاشوا على الماضي الذي ... بـذَّ في نيـل الفَخـارِ المغـرْبـا
يَـسْتـعيـدون سـنـا مُلكٍ لـهـمْ ... قَـدْ تـوانَـوْا عنـهُ حتى ذَهبـا

* . * . * . * . *

قفْ على بغدَادَ ـ واندبْ منْ بها ... رَفَـعـوا للشـرقِ ذكـراً طـيِّـبـا
وابـكِ في الأيَّامِ مَنْ قـال وقـدْ ... أبْـصـرَ الغـيَم تـهـادى صَيِّـبـا
سِـر يمينـاً أوْ يسـاراً إن لـي ... خـرج هـذا المـاءِ أنَّى سَكبـا[1]
ودمشقُ الأمسِ سَلْهـا عنْ فتىً ... ركـبَ الأمـواجَ فيـمـا ركِـبـا
أمـويٌ مـن بنـيـهـا بـاسـلٌ ... ذاكَ من شقَّ العبـابَ اللَّجبـا
ومضى للشـاطِيء الغـربيِ مـا ... قـدَّرَ المقـدام أنْ ينقَـلبـا[2]
تِلكَ أسـدُ شيَّـدت أمْجـادَهَـا ... بـقـنـاةٍ أعْـمـلوهـا وظُـبـا[3]
سبقـوا النـاسَ بمـا قَـدْ أبْـدعـوا ... وأنـارُوا لـلأنـامِ الـحُـقُـبـا
وورثْنـا بعـدَهـم مُلكـاً سَـمـا ... عـزةً، عِـلْمـاً، سنـاءً، أدَبـا
فـأضَعنـا كـلَّ مـا قَـدْ جَمَعـوا ... وهـدمْنـا مـا بَنَـوْا.. وَاحـرَبـا

(*) سبتمبر ـ أيلول ـ ١٩٥٤.

(١) يشير إلى هارون الرشيد حيث خاطب السحابة قائلاً: (اذهبي حيث شئت فسيأتيني خراجك)

(٢) إشارة إلى عبد الرحمن الداخل الذي هرب من العباسيين حتى وصل إلى الأندلس وبنى دولة أموية ظلت مئات السنين.

(٣) القنـاة: يعني بها الرماح، والظبي: السيوف.

لا تقولوا: نحن عُرْبٌ إنَّنا ... لهمُ لا نستحقُّ النَّسَبا

* . * . * . * . *

كانَ هذا الشرقُ في الدهرِ فتىً ... حينَ كانَ الغربُ طِفلاً ما حبا
وقديماً كانَ خصباً مُثمراً ... وأراهُ اليومَ أمسى مُجدِبا[1]
عادذت الأذنابُ رأساً للورى ... وغدا الرأسُ لديهم ذَنَبا[2]
أينَ نحنُ اليومَ مِنْ ركبِ الأُلى ... وطَّدوا للعلمِ هذي الطُّنُبا[3]
سخَّروا الذَّرَةَ، بلْ قد أوْشكوا ... أنْ ينالوا في السماءِ الكَوْكبا
بلغوا للبحرِ قاعاً وانْثَنَوْا ... في فَخَارٍ يركبون السُّحُبا
وأضاءَ الكونَ ما جاؤُوا بِهِ ... مِنْ فُنونٍ قدْ أثارتْ عَجَبا
أحْرَزُوا قَصَبَ السبْقِ وما ... بيْنَنا مَنْ يُحرِزُونَ القَصبا
سارَ من سارَ إلى العلياءِ لَمْ ... يأخذِ اللهوَ إليها مَرْكبا
ومضى في الغربِ أبطالٌ إلى ... مَجدِهِمْ لا يعرفونَ اللَّعِبا
فَلَنا الأمسُ. وهذا يومُهم ... ما أرى الأيَّامَ إلا قُلَّبا
دُولُ الغربِ إلى غاياتِها ... أسرعتْ حتى تنالَ المأرَبا
كلُّ شعبٍ راحَ يَسعى جاهِداً ... كي يُرى في الأرضِ ليثاً أغْلَبا
صنعَ القوَّةَ حتى أنَّهُ ... أنبتَ الأرضَ عناداً وشَبا[4]
إنما الدولاتُ في أحوالِها ... حَمَلٌ عانٍ وذئبٌ وثَبا[5]
وأرى الشرقَ سيبدو دائِماً ... مُستَذَلاً في الورى أو يَرهَبا

---

(١) المجدب : الذي لا نبات فيه ويقصد الشاعر أن أمسنا كان مليئاً بالمفاخر. واليوم تمتلكنا الأزمات والضعف من كل جانب.

(٢) يتحدث عن ظاهرة امتلاك زمام الأمور لمن لا يملك الأهلية. بينما يحارب الصالحون.

(٣) الطنب: حبل الخباء والجمع أطناب، وأطب.

(٤) شبا : جمع والمفرد شباه، وهي حد الشيء وطرفه والقصد هنا السيوف.

(٥) هذه صورة العصر الحديث حيث يتحكم القوي بالمادة ويسوق الناس كالأنعام، وهذه سمة الحضارة الأوربية وحوش تفترش الشعوب دون أن تروي ظمأها.

ها هو العالَمُ في إعصارِهِ ... كهشيمٍ كادَ أن يَلتَهبا
جرَّهُ نحوَ الرَّدى قادَتُهُ ... أتُراهم يَعشقونَ النُّوبا
وَيْحَهمْ مِنْ قادةٍ إني أرى ... شَرَكَ الموتِ بهم قد نُصِبا
قادةٌ في نَيلِ أطماعٍ لهم ... نَشَروا الرُّعبَ به والرَّهَبَا
شامهم يومُ الرَّدى فاندَفَعُوا ... في جُنونٍ يُرْهِبونَ القُضبا[1]
وكأنِّي بالنُّسورِ انطلَقَتْ ... في متونِ الجوِّ تَرمي العَطَبا[2]
وبدتْ للحوتِ في لُجَّتِهِ ... سُفُنٌ سَدَّتْ عليهِ المَسرَبا
إنْ تكنْ في الغربِ شُنَّت غارةٌ ... سيكنُ الشرقُ فيها الحَطَبا
وإذا حربٌ بدتْ أخطارُها ... فإلينا سَهمُهَا قدْ صُوِّبا
أتُرانا قدْ أخذْنا حذْرَنا ... ورَكبْنا للنِّضالِ الدَّأبا
لا أرى فيهم صناديدَ الوغى ... مَنْ أراهُمْ يُحسنونَ الخُطبا

* . * . * . * . *

ما لِهذا تَوَّاقٌ إلى ... أنْ يرانا عالَماً مُكتَئِباً
قدْ مضى نحوَ الرَّدى لم يَكفِهِ ... مِنْ وراءِ الحربِ ما قَدْ خرَّبا
سائلِ الأنقاضَ مَنْ ذا دَكَّها ... وأحالَ الصرحَ قَفْراً مُرْعِبا؟
مَنْ أخافَ الطفلَ في رَقدتِهِ ... فبكى في مَهدِهِ واضْطَربا؟
مَنْ بغى بالنارِ... مَنْ هذا الذي ... أفزعتْ أهوالُهُ قلبَ الظِّبا؟
مَنْ مضى في الجوِّ يسري ركبُهُ ... يُمطرُ الأرضَ بليلٍ شُهُبا؟
رُبَّ طفلٍ تحتَ طيَّاتِ الدُّجى ... فَقَدَ الأمَّ رضيعاً والأبا
وغلامٍ قدْ مضى عائلُهُ ... في لظَاها كادَ يَقضي سَغبا
ونساءٍ والهاتٍ في أسى ... هائماتٍ يلتمسنَ المَهرَبا
فكفى العالَمُ ما قَدْ ذاقَهُ ... دَمُهُ منْ عِرْقِهِ قَدْ نَضَبا

---

(١) القضب السيوف القاطعة.

(٢) العطب : الهلاك.

مَنْ لهذا الكونِ بالعقلِ الذي ... إنْ دعى الداعي إلى الحربِ أبى
خيَّمَ الهولُ على أرجائِهِ ... فتراءى بجبينٍ قُطِّبا
خدعوهُ مَنْ رَعَوْا سلماً له ... فرأى في السلمِ برقاً خُلَّبا (١)
غرَّروا في مجلسِ الأمنِ بهِ ... وباد الحقُّ لديهمْ كَذِبا
ليْتَهم في الخيرِ يسعُونَ إذاً ... لغدا في الخيرِ سعياً مُخصبا

* . * . * . *

طُرُقُ المجدِ تراءَتْ جمّةً ... سارتْ الدْولاتُ فيها خَبَبا(٢)
وأرى اليومَ على مفرقِها ... سادةً كانوا كراماً نُجُبُا(٣)
ضَيَّعوا الأمسَ، وهذا غَدُهُمْ ... مَجدُهُ بينَ الورى ما طُلِبا
قدْ غدا العربُ إذا ما ضُربُوا ... لا يَهبُّون إلى مَنْ ضَربا
وإذا سِيمُوا بيومٍ خُطَّةً ... فهْوَ أمرٌ لا يثيرُ الغَضَبا
ورأيتُ القومَ قدْ صاروا إلى ... ذِلَّةٍ مدَّتْ عليهم غَيْهَبا
أصبحوا لقمةَ أعداءٍ لهمْ ... كدجاجاتٍ تبيضُ الذَّهَبَا
ففلسطين أُضيعَتْ وغدَتْ ... يندبُ اليومَ بها مَنْ نَدَبا
جَاءَهَا كلُّ يهودي بدا ... هائماً بينَ الورى مُغتَرِبا
فأقاموا شوكةً في أرْضِها ... ذلكَ الرقُ بها قدْ نَكِبا
ليسَ مَنْ نالَ الأماني مُشبِهاً ... مَنْ على أمرٍ لهُ قد غُلِبا
لا رعى الرحمنُ يوماً مَنْ بها ... في اندحارِ العُرْبِ كانوا السَّبَبا

* . * . * . *

واستُذِلَّ القومَ في مرَّاكشٍ ... وبهمْ ظُفْرُ العوادي نَشَبا

---

(١) البرق الخلب : الذي لا مطر وراءه.
(٢) الخبب: نوع من العدو، وخبب الفرس، هو عدوه حين يراوح بين يديه ورجليه.
(٣) المفْرِق : بكسر الراء وفتحها : وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه الشعر، ومفرق الطريق : مكان تشعبه.

ضَـرَبَ البؤسُ قِبـابـاً فَـوْقَهم ورَمـاهـمْ مَنْ رَمى مُغْتَصِبـا
وشعـوبُ العُرْبِ في صمتٍ إلى أنْ ظَنَنَّـا مجـدَهم مـا سُـلِبـا
وكـأنَّ الأمـرَ لا يَـعـنـيـهـمُ أتُـرى الـذلُّ إلـيـهـمْ حـبِّـبـا؟
يـا بني الإسـلام هبُّـوا وانهضـوا لا تنـامـوا، بَلغَ السيـلُ الـزُّبى
واذْكـروا عهـداً سَمَتْ أمجـادُكُم فيـهِ حينـاً إذا سَمـوتُـم رُتبـا
رُبَّ سـيفٍ صـارمٍ ذي نـبـوةٍ وجـوادٍ سـابـقٍ يـومـاً كـبـا

* . * . * . * . *